الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

تصدر مؤقتاً فى أول كل شهر وفى نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

م	
٣٠	فى مصر والسودان
٥٠	فى الممالك الأخرى
١	ثمن العدد الواحد

الادارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠

العدد ٦٥ — ١٧ شعبان سنة ١٣٥٨ — أول أكتوبر سنة ١٩٣٩ — السنة الثالثة

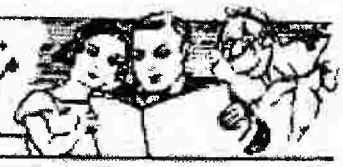

فهرس العدد

صفحة			
٩٣٨	لأنها حلتنى على الانتظار ...	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدى ...
٩٥٠	السودة	للقصصى الفرنسى « موباسان » ...	بقلم الأستاذ ناجى الطنطاوى ...
٩٥٥	الزوجة الجديدة	عن الانجليزية	بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار
٩٥٨	أنصوصة واقصة	للكاتب الانجليزى بنيامين دزرائيلى	بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد
٩٦٠	أسطورة (دجلة) و (الفرات)	أنصوصة عن الأدب التركى ...	بقلم الأديب محمد نذير الحسامى
٩٦٥	الرداء الأبيض	للكاتب الانجليزى ستانس أوموتيه	بقلم الأديب محمود المرصفى ...

لأنها جالسة على الأسطار

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

« قالت : إن الحب هو الذي حملها على فعل ما فعلت . . . ولكن الحب يمكن أن يكون في أغلب الأحيان خالياً من التفاهم ومن الأحلام »

كان التوفيق لا يزال بعيداً عني البعد كله في ذلك اليوم من أيام الخريف الذي قابلت فيه « آن أولدن » ، وقد بلغ بي البؤس إلى أنني لم أذق طعاماً منذ ثلاثين ساعة ، وأنني لم أنم ليلة كاملة . على أن قدمي كانتا لا تزالان ، على حالة ما ، تواصلان السير مستمرتين فيه أشبه ما تكونان بقدمي إحدى اللعب الآلية التي أديرت لولبهما فهما تتحركان ولا تستطيعان الوقوف عن الحركة ، كان ذلك بعد ظهر يوم السبت ، وهو الوقت الذي فيه يكاد كل مكتب من مكاتب الأعمال في هذه البلدة من بلاد وارويكشير مقفلاً ، وعلى الرغم من ذلك ما زلت أسعى لأتصيد عملاً أعيش منه ، وهذا هو السبب في وجودي بمكتب شركة ونيدوت اسكرو وبولت عندما خرجت من الباب المرقومة عليه كلمة « خصوصي » فتاة طويلة القامة ذهبية الشعر ، تحمل أكبر سلة رأيتها في حياتي ...

وكانت الفتاة الموكول إليها استقبال الزائرين تقول في هذه اللحظة : « آسفة ... وهناك في الخارج إشارة لو كنت تستطيعين القراءة لفهمت منها ... »

ولم أسمع بقية الجملة ، لأن الطنين الذي كنت أسمعه في أذني كان يقوى ويقوى حتى أصبح دوياً قارعاً ، وأحسست بالعرق البارد يطفح على كل جسمي . والآن عند ما رفعت نظري إلى الفتاة ذات الشعر الأصفر ، وفتاة الاستقبال ، وجدتهما تتراشقان بنوع من العبارات الحوشية ...

وعند ما انجلى كل شيء ظهر أن التراشق لابد أن يكون قد انتهى ، فقد كانت الفتاة الطويلة راكعة بجواري تضع تحت أنفي زجاجة فيها مادة كريهة الرائحة ، وكانت الفتاة الأخرى تنطق في نغمة مملة بكلمات تنم عن الغضب ممناها :

— لقد كان أمامه الشارع كله يمكنه أن يغمى عليه في أية ناحية منه ، فما الذي حمله على أن يترك كل هذا الفضاء ويد ...

فتحركت الفتاة الطويلة وتكلمت وكانت كلماتها أشد هدوءاً من حركتها ، فلم ترفع صوتها ولكنها قالت لها : « صه صه ! »

ونظرت الفتاة الطويلة إلى وابتسمت ابتسامة بطيئة هادئة ، وكان لون عينيها هو ذلك اللون الأزرق الصافي الذي يكثر شيوعه في عيون عرائس الأطفال . وإني لأذكر على الأقل أن طفلاً من أطفال ملجأ الأيتام الذي نشأت فيه كان يملك عروساً بعينيها مثل هذا اللون . ولم تكن عينا الفتاة جميلتين تسترعيان النظر ، ولكنهما كانتا أشفق عينين رأيتهما في حياتي . وقد قابلت ابتسامتها بابتسامة خفيفة وحاولت الجلوس ،

وكانت ساعدها التي تسندني ثابتة قوية ـ فهي من تلك السواعد المتعودة مساعدة الغير

فلما نهضت واقفاً على قدمي قالت الفتاة :

— أتستطيع أن تمشي ؟

فقلت : « هذا ما يجب أن أستطيعه فقد مرنت عليه في العهد الأخير مراناً طويلاً »

وابتسمت وأنا أقول هذه الكلمات ، لأنه حتى الفتاة التي تعودت أن تواسي المحتاجين إلى المواساة ، لم تستطع أن تظهر لي من المواساة شيئاً ، وهذا في الواقع هو الشيء الوحيد الذي لم أكن أحاول تصيده

وأدارت « آن » ـ وآن هو اسم الفتاة الطويلة ـ وجهها عني وعضت شفتها . وواضح أن ابتسامتي لم تشرح صدرها ؛ على أنها عند ما عادت ، فأدارت وجهها نحوي كان المرح بادياً على محياها في أجلى صورة مستطاعة ، وقد قالت :

— هذا حسن ، فبيتي يقع مباشرة وراء ناصية الشارع

وعندئذ ضحكنا كلانا ثم مضت « آن » تقول :

— والحق أنها ناصية جميلة وإذا أنت درت حولها فإنك حقاً ترى بيتنا

فسألتها : وماذا أفعل إذا أنا وصلت إلى هناك ؟

فقالت الفتاة : تقابل أمي وأستطيع أن أؤكد لك أنها تستحق أن يقابلها الإنسان

ولولا أن اعتمدت على ساعد « آن » لما كان في مقدوري مطلقاً أن أصل إلى البيت ، فلقد كنت حقاً في الرمق الأخير ، فلما وصلت إلى الدرجة الأخيرة من السلم ـ وكان عدد درجاته أربعة فقط ـ كنت ألهث كما لو كنت قد جريت شوطاً بعيداً

فصاحت « آن » : أماه

ولم يكن صوتها عالياً ولكن كان فيه شيء من نغمة الأمر . ولم يدهشني أن أرى باباً في الطرف الآخر من الغرفة يفتح على مصراعيه في الحال

ولم تكن الأم إلا نسخة طبق الأصل من بنتها أو العكس

ولما رأتني الأم قالت : « أوه » ثم أقبلت مسرعة إليّ حيث ارتميت على أحد المقاعد الواطية

وقالت « آن » : هذا يا أمي ...

وأتممت أنا جملتها فقلت : جاك هنتر

وهزت « آن » رأسها كأن اسمي لا يعنيها في كثير أو قليل ثم قالت : لقد دعوته لشرب الشاي معنا ، فلتجلسي أنت يا أمي معه وسأعد أنا الشاي

على أن أمها لم تطل الجلوس معي فإنها لم تكد تستوي على الكرسي حتى دق الجرس وسمعت صوتاً صغيراً يسأل عن كمك السيدة فلانة وعن طلبات أخرى من الحلوى

وقالت مسز أولدن وقد عادت إلى الغرفة بعد أن لبت الطلبات

— إني لآسفة ، فإنني وآن نخبز كما ترى للحصول على رزقنا ، فنحن نتلقى الأوامر بالمطلوبات ونعدها ؛ ويوم السبت هو أكثر الأيام ازدحاماً بالعمل

فقلت : « هذا ... »

ثم وقفت عن الحديث إذ رأيت « آن » تدخل إلى غرفة الجلوس الصغيرة تحمل بين يديها صينية كبيرة ، ولما رأتني أحاول النهوض قالت : « ابق مكانك ولا تتحرك ، فأنا متعودة على حمل الأطباق الكبيرة والسلال الثقيلة ، فإن ساعدي مخلوقان لذلك ... »

وأضافتني الأم وبنتها ، وسهلت على أخلاقهما

قبول جميع الأيادى التى غمرتانى بها فى الايام القليلة التى تبعت ذلك اليوم : فقد قدمتا لى غرفة للنوم وطعاماً أقيم به أودى ، وكانتا تحييانى فى هدوء كلما عدت إلى البيت عاطلاً بعد السعى طوال اليوم لتصيد عمل أعيش منه

وكانت مسز أولدن تقول لى من حين إلى حين :

— تذكر أن الدنيا لم تخلق فى يوم واحد

وكانت تقول هذه الكلمات فى لهجة جدية حتى لقد أصبح هذا القول البالى يفيد معنى من المعانى

كذلك كانت آن تقول لى فى لهجة التوكيد :

— لا بد أن يجىء اليوم الذى تنتظره

وكان توكيدها الهادئ يقنعنى بما يخالف تقديرى ورأيى . ولم أرد أن أكون عالة فى كل شىء فكنت أساعد فى غسل الأوعية ، وأحمل البضائع إلى العملاء القريبين ، وكنت فى الجملة أشترك مع السيدتين فى العمل حينما وكلما استطعت

ثم لم ألبث أن حصلت على (عمل) فى وقت كنا فيه أبعد ما نكون توقعاً للحصول على العمل ، وبطريق هى أبعد الطرق عن التصور . فقد انتهت إحدى العميلات من ابتياع مطلوباتها ، وكنت أضع لها ما ابتاعت فى العربة ، فشكرت لى صنعى وأشارت إلى البيت بتحية خاطفة . ولكنها عند ما حاولت أن تسير سيارتها لم تتحرك السيارة ، فأسرعنا باختبار كمية البنزين فى الخزان فوجدناها كبيرة !

فقالت السيدة محنقة منيظة : وماذا بعد هذا ؟

ثم قالت : إذا استمرت هذه الحال فسأبحث عن جراج آخر ، وهذا هو كل ما أستطيعه

ثم اجتازت الطريق إلى البيت وسمعتها تقول شيئاً عن التليفون وسمعت مسز أولدن تقول لها أن ليس هناك غير التليفون الموجود فى المطبخ ، وإلى أن سمعت هذه الكلمات لم أكن قد فكرت فيما أعمل ولكنى لما رأيت العميلة تسير نحو المطبخ ناديتها بقولى :

— أتسمحين لى بأن ألقى نظرة على السيارة ؟

فلما تلفتت إلى مندهشة قلت :

— ألا فاعلمى يا سيدتى أن الشىء الوحيد الذى أستطيع عمله هو إصلاح السيارات

فترددت السيدة ثم قالت : حسن

فلم أنتظر كلمة أخرى ، فقد كانت أصابعى متلهفة للوصول إلى ما تحت غطاء المحرك ، وفى اثنتى عشرة دقيقة كنت قد اهتديت إلى العلة وأصلحت الخطأ وكان فى البخر حيث منبع جميع الخلل

ولم أفكر قط فى أثناء إصلاحى الخلل فى أن أنال أجراً على عملى ، ولكن بعد ما انتهيت وأعدت إحكام غطاء المحرك ، خطر لى على حين فجأة ، أن الأمر قد لا يقتصر الآن على الشكر ، وأن « شيئاً سيأتى من راحة اليد » ولكننى مع ذلك كنت مخطئاً فى تقديرى ، فإن العميلة وإن كانت قد شكرت لى صنعى واعترفت لى بجميلى فإنها لم تمد إلىّ يدها حتى ولا بسجارة . ثم كأن هذا الامتعاض الذى شعرت به لم يكن كافياً فلم تمض بضع دقائق إلا وقد دق جرس التليفون وسمعت صوتاً غاضباً ثائراً يسألنى ما الذى فعلته بسيارة مسز تروتر

فتغضبت من هذا السؤال وأجبت الرجل :

— إذا كان قد حدث خلل آخر فى السيارة فليس ذلك من خطأى . فأى إنسان بمعرف مبادئ الميكانيكا يدرك أن الذى كان موكولاً إليه أمر

ملاحظة هذه السيارة وإصلاحها لم يخرج عن أن يكون طفلاً

فأجاب الرجل : أوه ... أهو كذلك ؟ حسن فهل لى أن أسألك أن تحضر وتظهر لى على وجه الدقة موضع الخلل وأسبابه !

قلت : وهل لى أن أسألك ماذا يكون جزائى إذا أنا أظهرت لك ما تريد ؟

فأجابنى . واندفعت فى الحال جارياً الطريق كله حتى وصلت إلى الجراج ، ولم أكن رأيته من قبل إلا من الخارج — إذ لم يسمح لى أحد قط بأن أرى صاحب العمل — ومع ذلك فإننى عند ما دخلته اليوم وشممت رائحة الزيت والشحم وسمعت أزيز المحركات وأصغيت إلى مزاح الرجال ونكاتهم شعرت شعوراً تاماً بأننى داخل إلى مكانى . وقد قضيت بقية هذا اليوم وأغلب اليوم التالى فى إصلاح سيارة العميلة ، ولكننى عند ما انتهيت من عملى كانت السيارة قد أصبحت فى أحسن حال فقلت : هأنذا قد انتهيت

ثم سمعت الكلمات التى قيلت، وابتسمت ابتسامة فاترة عريضة وقلت مصدقاً على ما سمعت : أظن أننى كنت على حق

ثم اتجهت نحو الباب

ولكن صاحب العمل هارى جوتز قال لى : لاتخرج بمثل هذه السرعة ، فإن أى إنسان يستطيع أن يجعل سيارة متعبة كهذه تجلس مستقيمة وتغنى لا يجوز أن يفلت منى

كان هذا هو كل ما حدث . وبمثل هذه السهولة حصلت على العمل بعد أن قضيت الأشهر الطوال أجوب الشوارع باحثاً عن عمل حيث يحتاجون إلى رجل يستطيع أن يحمل السيارات على أن تغنى !

ولقد غنيت أنا أيضاً ، غنيت غناء لم أغنه من قبل . غنينا جميعاً تلك الليلة واقفين حول « بيان » جماعة أولدن ، بينما جلست « آن » أمام « البيان » تنقر عليه بأصابعها الماهرة متتبعة غناءنا . غنينا أغنية عيد الميلاد لأنه لم يكن باقياً غير أسبوع واحد حتى يحل هذا العيد

كان عيد هذا العام من أبهج الأعياد فى حياتى على الرغم من أن جيبى كان خالياً حتى من بنس واحد أروح به عن نفسى — فقد كنت لا أزال مثقلاً بدين كبير لأسرة أولدن ! لقد كنت شاباً صغيراً صحيح الجسم ، وأصبح لى — لأول مرة بعد موت والدى فى وباء سنة ١٩١٨ — بيت آوى إليه، أو هو شىء أشبه فى منظره ورائحته ببيت أهلى

كان فى هذا الوقت بالذات أن بدأت أتكلم عن المستقبل فى صيغة الجمع فأقول « سنفعل ذلك

الشيء يا آن » و « سنعد ذلك الأمر » وهكذا كنت أرسم خطة المستقبل على أنني لست وحيداً في الحياة ، فقد أصبحت آخر الأمر مؤمناً (دون خطبة رسمية) بالواقع من أنني وآن سيتزوج أحدنا من الآخر في يوم من الأيام

وكانت هي آخر الأمر التي اختصرت الطريق إذ قالت لي وقد تلون جلدها الناعم على حين فجأة بحمرة الحياء :

إن كلمة « نحن » التي تنطق بها ترن ككلمتي « إلى الأبد »

فقلت : هذا ما أقصد إليه يا آن فهل تستطيعين أن تروضي نفسك على حبي ؟

فهزت رأسها وشعرت بصدمة خفية في قلبي عند ما قالت : أنا لا أستطيع أن أروض نفسي ، لأنني أحبك فعلاً يا جاك

فضممتها بين ساعدي لأول مرة وأسندت صفحة وجهي إلى شعرها الناعم ، وقلت لها قبل أن أقبلها : إذن قد انتهى كل شيء

ولكن آن نفسها قد بينت لي في وضوح أن شيئاً ما لم ينته بعد حين قالت : فكر يا جاك في أنك قد تكون خالطاً بين الحب وبين الاعتراف بالجميل ، فليس الأمران شيئاً واحداً . وقد تكون كذلك خالطاً بين الشعور بالراحة وبين الرضا الذي لا يجيء إلا من الحب الحقيقي . وقد تتلاقى في يوم من الأيام بإنسانة ما

فقاطعتها بقولي : « لقد التقيت بملايين من الفتيات وأحببت بعضهن ، ولكنك يا « آن » أنت الوحيدة التي طلبت إليها أن تتزوج مني »

كانت « آن » تناهزني في طول قامتي — وقد كنت طويلاً حقاً — فلما سمعت كلماتي ضمت وجهي بين يديها القويتين ونظرت إلى عيني نظرة عميقة ، وهي تقول :

— انت ولد جميل يا جاك هنتر ، وما زلت شاباً وجذاباً جداً ، وأنا لست إلا الفتاة « آن » التي ستحبك دائماً ، ولكن في هدوء . وربما لا أكون المرأة التي تثير عواطفك بالقدر الكافي .

وحاولت أن أقطع عليها حديثها ، ولكنها أشارت لي أن ألزم الهدوء ومضت تقول :

— وأنا ياجاك أريد أن أتزوج لأعيش إذا قدر لي يوماً أن أتزوج

فقلت : « ولكنني أريد يا « آن » أن أتكفل بأمرك وهذا هو الذي كنت أحاول أن أقوله لك .

فأجابت : إذن انتظر !

سألتها : إلى متى ؟

وعندئذ حددت مدة التجربة بسنة كاملة

وخيل إليّ أن رأيها سخيف جداً وقلت ذلك في عبارة مترددة

على أنه قبل أن ينقضي شهران على هذا الحديث التقيت بإيلين ليندن ، وبدأت أشعر أن « آن » ربما كانت على حق فيما قالت لي

« مثيرة للعواطف ! » : أظن أن هذا هو أحسن وصف يمكن الإنسان أن يصف به إيلين . شعر أسود في هالة من الجعائد المتموجة حول رأسها ، وعينان خضراوان أشبه ما تكونان بالعيون الشرقية في تركيبها ، وأكمل جسم تقع عليه العين في تكوينه ، ولها في الحديث أساليب تستهوي النفوس وتنقطع لها الأنفاس

وقد اعترضت هذه الفتاة طريقي أنا جاك هنتر !

ولقد هز ما أبدت لى من تودد وإغراء أساس كيانى ، وقد اختارتنى دون جميع رفاقى فى البناية وفى المكتب والجاراج موضعاً لمغازلتها وتوددها

ومضت إيلين فى اختصاصى بودها وبحبها على الرغم من أن أمها قد حاولت بكل ما فى وسعها من جهد ، أن تقطع علينا طريق هذا الافتتان ، وكانت مسز ليندن امرأة قصيرة بدينة بعض الشيء ، وقد قضت جميع سنى زواجها نادبة حظها ، وقد قالت إنها هى أيضاً لم تستطع أن تقاوم حبها لزوجها ليرى لى على الرغم من أن أمها العزيزة قد حذرتها ، وتنبأت لها بأن زواجها منه لن يكون أبداً زواجاً ناجحاً فى الحياة !

لقد كانت أمها العزيزة على حق ! فلم يكن الرجل موفقاً ولا ناجحاً ، وكيف يكون كذلك وهو يعاشر امرأة ترميه بعدم التوفيق وعدم النجاح فى الصباح وفى الظهر وفى المساء !

لقد سنحت لى لحظة صفاء ذكرت فيها كيف كانت « آن » هادئة مطمئنة فى تلك الأسابيع المريرة القاسية التى كنت فيها خالياً من العمل أسعى لتصيده فى كل مكان ، ولكننى عندما رأيت إيلين تهبط السلم رشيقة فتانة فى ثوب جديد له لون عينيها الخضراوين الصافيتين تلاشت ذكرى « آن » وهدوءها واطمئنانها .

وعند ما خرجت بعد ذلك مع إيلين فى السيارة التى اشتريتها مستعملة وأصلحتها فأصبحت فى حال جيدة على ما أظن ، ازددت نسياناً « لآن » وأيامها وعندما عدنا إلى البيت فى تلك الليلة كان قد تلاشى من ذاكرتى كل أثر لتلك الأيام تلاشياً تاماً . لقد كانت « إيلين ليندن » هى كل ما فى الدنيا من عواطف مثيرة تجمعت فى كتلة واحدة وقد اعتزمت أن أتزوج منها إذا استطعت

وحتى الآن لم أقل « لآن » شيئاً . ولقد عرفت بعض الشيء أو لعلها قد خمنت شيئاً ، فقد بدت فى عينيها فى تلك الأيام ، نظرة تائهة حزينة ، وتحلل جسمها الجميل كما لو كانت مريضة منهوكة

وفى الليلة التالية أخلفت موعدى مع « آن » محاولاً أن أكذب عليها ، ثم انتهى الأمر بأن أخبرتها بالحقيقة ، وما زلت مسروراً من أننى قد فعلت ذلك . لقد قلت لها :

— أريد أن أعمل الليلة شيئاً آخر يا آن

وقد أجابتنى فى صوت امتزج فيه الحنان بالأسى :

— من الطبيعى أن تفعل ما تريد يا جاك

وهكذا ذهبت إلى بيت ليندن فى وقت لم يكن أهله يتوقعون مجيئى فيه . وما كدت أصل إلى الباب حتى وجدت إيلين خارجة مع « فرداسوبنى » أحد رفاقى فى المكتب . فكان من الطبيعى أن أغضب وأثور ، فإنها فى الليلة السابقة فقط ارتمت بين ساعدى وتلقت قبلاتى الغرامية بكل ما يصبو إليه الرجل من حرارة وإقبال . وهى الليلة تخطو إلى رجل آخر تلك الخطوات الرشيقة التى خطتها إلى ، فما معنى هذا يا ترى ؟ أهو موعد غرام معه هو أيضاً ؟ أيمكن ... يا لله لقد كانت الأسئلة فى نفسى عديدة وكان الجواب — عذاباً

قضيت تلك الليلة أذرع غرفتى ذهاباً وجيئة حتى كدت أسقط إعياء ، وقلت فى نفسى آخر الأمر لاشك فى أن إيلين تستطيع أن توضح لى كل شيء فى الصباح ، وقد اختصت جماعة إيلين فى هذه الدنيا بشيء واحد هو القدرة على شرح كل شيء وإيضاحه !

فقد قيل لى إن ما حدث كان من خطأ أمها ، فإن هذه الأم العزيزة قد جعلت حياة ابنتها جحيماً ؛ فهى دائماً تصدع رأس هذه الابنة المسكينة بتوبيخها لومها نفسها علىّ . فأجبت بأن أمها فى غنى عن أن تتعب نفسها من أجل ذلك ، فإن لدىّ أشياء خيراً من التسابق فى مطاردة فتاة لهوب مغازلة مثل « إيلينها » العزيزة ؛ فهى تستطيع أن تجد لنفسها فى كل ليلة رجلاً جديداً ، ومتعة جديدة أيضاً ! وفى الجملة اشتد النزاع والشجار بيننا حتى امتلأت عينا إيلين بالدموع ، فلم أطق صبراً على ذلك فهدأ غضبى وترضيتها ، ولكننى علمت فيما بعد أن دموعها كانت جاهزة دائماً كماء أنبوبة المطبخ تستطيع أن تسيله أو تحبسه وفق إرادتها . ومن سوء الحظ أننى لم أعرف هذه الحقيقة فى تلك الليلة .

وهكذا اصطلحنا فى ذلك المساء ، وكان معنى هذا الصلح أن اندفاعنا فى طريق الغرام لا يقف عند حد . ولما انتهى كل شىء شعرت بأننى ممتعض منها ومن نفسى . فلم تكن هذه هى الطريق التى قصدت أن تسير فيها الأمور . فأنا الذى لم يكن لى بيت منذ كنت فى السابعة من عمرى ، كنت أعرف أن التقاليد والعادات للناس كالسقف فوق رؤوس الأطفال . وهذا هو الذى حدا بنا أن نذهب بعد بضعة أسابيع إلى أحد مكاتب التسجيل فنثبت زواجنا

وإنى لأشك الآن فى أن إيلين كانت فى أول الأمر تقصد إلى الزواج منى بحال من الأحوال . لقد رأتنى وصبت إلىّ وأرادتنى ، ومعنى ذلك فيما يتصل بإيلين أن تنال ما تريد ؛ ثم هى أيضاً قد فقدت منطقها وفى ساعة انفعال سمحت لنفسها بالزواج منى . أظن أن هذه هى القصة على حقيقتها

أما مسز ليندن فقد سايرت الأمور على الوجه الذى تعرفه طبعاً ، وأما المسكين ليزلى فقد وقف جانباً يعصر يديه عاجزاً لا يستطيع أن يفعل شيئاً ولكن كان أبغض الأمور إلى نفسى أن أخبر جماعة أولدن بما حدث . فقد كان سلوك « آن » وأمها بديعاً فى كل شىء ما فى ذلك من شك ، وهذا هو الذى زاد الأمر سوءاً وأحاط موقفى بالحرج الشديد

ولقد قالت « آن » : « لا تحزن يا جاك ولا تخجل فإنك بعد كل شىء لم تطلب منى أن آخذك إلى بيتنا ؛ ثم أنت لم ترغب بمجرد إرادتك فى أن تحب إنسانة أخرى »

لم يكن هذا صدقاً فلقد سمحت أنا إلى الحب فقد سمحت أولاً لعقلى وثانياً لقدمى أن يبتعد الجميع عن « آن » ، وأى شىء يتوقعه الرجل بعد ذلك ؟

وهكذا بدأت حياتى الزوجية وأنا أشعر فى نفسى بالجريمة التى ارتكبها ، وليس ذلك بالشىء الحسن ، وبدأت كذلك بمجموعة من الديون الجديدة وليس هذا بالشىء الحسن أيضاً

وقد قالت إيلين : إننا لا نستطيع أن نقيم مع أمى فى بيتها فهى تملأ حياتى تعاسة وشقاء

وقد وافقت على هذا ولكننى لم أفهم معنى لأن نستأجر بيتاً يبلغ أجره الشهرى كل أجرى على عملى فى أسبوع كامل ، كما لم أفهم معنى لأن نؤثث ذلك البيت كما لو كان اسمنا روتشلد بدل هنتر

كان هذا التصرف هو أول ما فتح عينى على ما يحيط بى . فإننى لم أتذوق بالفعل ما كنت أتوقع من ثمرات الأنوثة المزهرة ، فقد أصبحت هذه

الثمرات لا تعطى إلا بثمن وثمن غال جداً . وقد بدت لى هذه الحقيقة أشد وضوحاً فيما بعد عند ما عرفت مبلغ ما يكلفنى فقط تصفيف الشعر والجوارب الحريرية . لقد كنت بطبيعتى سمحاً فيما يتصل بإنفاق المال ، وكنت كذلك غير أننى بطبيعتى ، ولكننى كنت أبغض الدين ، والآن ليس فى حياتى شىء آخر غير الديون

وأصبحت مسز ليندن التى صالحت ابنتها وساد بينهما الوفاق التام هى التى تحرضها على كل شىء فى إلحاح شديد فكانت تقول : لقد تعودت إيلين على اقتناء أحسن الأشياء ، وكان لا بد لى من إجابة مطالبها مهما كانت نتيجة ذلك على أبيها وعلىّ أنا

وهذا هو الذى يفسر لنا كيف أن فتاة ليس لها من دخل غير أجرها من الكتابة على الآلة يمكنها أن تلبس ما كانت تلبس إيلين من الثياب الفاخرة ، فقد كانت أمها تعطيها كل ما يجىء به المسكين ليزفى إلى البيت من المال بمجرد إحضاره ، والحق أنه مما يدعو إلى العجب أن يعمى الافتتان الرجل إلى هذا الحد

وكان كل ما تقترحه مسز ليندن علاجاً لشاعبنا هو قولها : الأمر بسيط فعليك أن تزيد فى أرباحك

وهذا هو بالطبع الذى حملنى على أن أضع اسمى بين الذين يرغبون فى العمل الإضافى

ولم يخطر لى يوماً على بال أن أشك فى أخلاق إيلين . لقد كنت أعلم أننى لا أستطيع أن أثق بها فى التصرفات المالية ، وكنت أعلم أننى لا أستطيع أن أثق بها فى إعداد طعام أو ترتيب بيت ، وكنت أعلم أيضاً أننى لا أستطيع أن أثق بها حتى فى أن تعنى بملابسها إلا إذا كان ذلك فى وجود إنسان غيرى ، فلم يمض على زواجنا أكثر من خمسة عشر يوماً حتى كانت تقضى كل وقتها فى البيت فى قميص ملطخ ممزق ، إلا إذا جاء لزيارتها أحد من أصدقائها المديدين . على أننى مع ذلك ظننت أننى أستطيع أن أثق بها فى المحافظة على عهود الزواج ، ولكننى كنت مخطئاً فى هذا الظن

لقد كانت العاطفة الثائرة التى دفعتنى نحو إيلين هى كل شىء فيما يتصل بها . فليس فى إدارة البيت شىء مثير للنفس ، وكذلك ليس مما يثير النفس أن يقضى الإنسان الليل فى البيت وحيداً فى صحبة كتاب نفيس ، بينما إيلين لا تستطيع الاستقرار فى البيت

هذا هو السبب فى أننى عند ما عدت إلى البيت فى مساء يوم أربعاء فى غير موعدى المعتاد ، لم أجد لإيلين أثراً فى أية ناحية من نواحيه . ولم يكن فى بيت والديها تاليفون منذ زواجنا ، لذلك قصدت إلى ذلك البيت ماشياً على أمل أن أجدها هناك جالسة معهما على مائدة العشاء ، ولكنها لم تكن هناك أيضاً . ولقد خيل إلىّ أن ما بدا على مسز ليندن من الاضطراب كان أكثر مما يدعو إليه الموقف ، على أنه كان من رأى السيدة الوالدة أنه إذا كان لا بد من تغيبى عن البيت فما الذى يمنع إيلين من أن تشغل نفسها بأمر ما فى هذه الليلة ؟ ولقد ترددت لى مسز ليندن إذ ذاك تردداً لا عهد لى به من قبل ؛ وكانت حقاً غاية فى اللطف : وقد فعلت كل ما فى مقدورها لإبقائى لديها أطول وقت ممكن ولم يبق من وسائل حملى على البقاء إلا أن تربطنى إلى الكرسى الذى جلست عليه ، وحتى عند ما هممت للخروج بدا عليها الخوف من أن أغيب عن نظرها ، فقالت تخاطب زوجها :

— أظن من المستحسن يا ليزلى أن أصحب جاك إلى بيته فقد مضت عدة أيام لم أر فيها إيلين

فنظرت إليها نظرة سريعة وعجبت من قولها وشككت فى صدقه . لأنه إذا صح قولها فتكون إيلين قد كذبت علىّ كذباً صريحاً إذ قالت إنها كانت فى الليلة الماضية والليلة التى سبقتها فى بيت أمها . الحق أنه كان هناك شىء غريب ولكنى لم أكن على يقين من ماهيته ، فقد كانت مسز ليندن مندفعة فى تيار الحديث الذى لا ينقطع طوال الطريق . يا لله ! لو أنها كانت كذلك فى حال سرورها لوددت أن تبقى معى إلى الأبد فى خارج البيت ، ولقد ابتسمت فى الظلام لهذا الخاطر

ومع ذلك لم تطل ابتسامتى ، فإننا ما كدنا ندور حول زاوية الطريق حتى رأينا إيلين خارجة من سيارة فرد أسوبنى ، ولقد رأيانا غالباً فى اللحظة نفسها التى رأيناها فيها فقد كانت مصابيح الشارع فى هذه النقطة ساطعة جداً ، فقالت إيلين « أوه ! » ووضعت يدها على حلقها كما لو أن شيئاً يكاد يخنقها . أما « فرد » فلم يقل شيئاً على الإطلاق ، ولكنه أدار سيارته وانطلق

فاجتازتنى مسز ليندن مندفعة فى وثبات جنونية نحو ابنتها فكانت أشبه بالدجاجة على أثر ذبحها ، ولم تقف حتى صارت أمام إيلين ؛ وقد رفعت رأسها وفتحت ساعديها ، ولعلها كانت مضحكة فى حركتها هذه ولكنى لم أفكر فى ذلك إذ ذاك ، فقلت لها :

— عودى إلى بيتك يا مسز ليندن ، فإننى فى هذه اللحظة لن ألمس ابنتك هذه حتى ولا بصارية مركب .

لقد كان ما قلته حقاً ، وقد أدركت ذلك شاعراً بنوع من العزاء ، فقد كانت تلك اللحظة من اللحظات التى يقدم فيها الرجال على أعمال يندمون عليها فيما بعد . لم أرد فى تلك الساعة شيئاً غير الخلوة إلى نفسى . وهذا هو الشىء الوحيد الذى لم ترده إيلين بعد أن اجتزنا باب مسكننا ، فقد بقيت ممسكة بى متعلقة بأكتافى ، تصب من فمها أنواعاً من الاعتذارات فى لهجة باكية تقطعها الزفرات متحببة إلى بكل ما يتسع له خيالها من ألفاظ .

فنظرت إلى وجهها وعجبت كما عجبت كثيراً فى الأيام الأخيرة ... لماذا تصورت فى وقت من الأوقات أنها جميلة جذابة ، لقد كان شعرها أشعث تقصفت أطرافه من كثرة السكى ، وعلى خديها خطوط طويلة من الأصباغ ، وكان يزكم الأنف منها رائحة العطور القوية التى كانت تتدهن بها وتستغنى بها عن الماء والصابون الجيد .

فسككت عن عنقى هاتين اليدين اللتين كانتا فى وقت من الأوقات تثيران عواطفى ... أما الآن فقد أصبحتا يدين شرهتين آثمتين ، وقلت لها :

« إذهبى إلى فراشك يا إيلين ، فإنى أريد أن أخلو بنفسى » .

وخيل إلى أن صوتى عندما قلت هذه الكلمات كان جامداً جمود الجليد .

ذهبت إيلين إلى الغرفة التى كنا نقتسمها للنوم وقصدت أنا إلى الشباك ، فأجلت النظر فى ليل الشتاء ... على أننى لم أر الليل ، ولكننى رأيت بدلاً منه « آن أولدن » كما رأيتها لأول مرة ، ورأيتها عندما كانت قوة يقينها تشجعنى على أن أثق « بالرجل الذى

تستطيع الدنيا أن تعمل بدونه » ورأيتها كما كانت فى الليلة التى قالت فيها : أنا لست إلا الفتاة آن التى ستحبك دائماً، ولكن فى هدوء، ولعلى لن أكون مثيرة عواطف رجل مثلك بالقدر الكافى .

مثيرة ! لقد هززت كتفى لأتخلص من كل معنى من معانى هذه الكلمة ، فقد كان ما أحتاج إليه فى هذه الساعة ، وما أجود بحياتى فى سبيل الحصول عليه هو هدوء وقوة امرأة مثل آن أولدن ولكن ذلك لن يكون لى أبداً ، وقد نبهتنى آن نفسها إلى ذلك ، فالزواج عندها مسألة أبدية .

وكان فى الغرفة كرسى كبير — من الأثاث الذى لم يدفع ثمنه بعد — فارتميت عليه وخبأت وجهى بين يدى . وفكرت فى ذلك الخبيص الوحشى الذى صنعته بيدى لنا جميعاً : آن وإيلين ونفسى . وقد كان من أثر التفكير على هذه الصورة أن هدأت فى نفسى الثورة التى أثارتها حوادث الليلة ، أو هذا على الأقل ما شعرت به . فإن إيلين قد قضت منذ وقت طويل على كل ما كان فى نفسى من شعور نحوها إلا شعورى بأننى أملكها . ولما هدأت ثورتى استطعت أن أتبين الأمور بكثير من الوضوح وأن أكون أهدأ تفكيراً، وكان الفجر قد أقبل قبل أن أثق ثقة تامة مما سأفعل ومن الأسباب التى تدعو إلى فعله

ولا بد أن أكون قد نمت عندئذ ، فإن أول ما شعرت به بعد ذلك حركة إيلين وصوتها الجامد يقول :

— الساعة الآن السادسة يا جاك فهل أنت ذاهب؟

فقاطعتها بقولى :

— إننى ذاهب إلى عملى ، فمتى انتهيت من حمامك وغيرت ملابسك عودى إلى هنا ، فإنى أريد أن أتكلم معك

وكانت فى هذه اللحظة كما كانت فى الليلة السابقة فإنها لم تنزع حتى رداءها الخارجى

ولم يكن لدى ما أطيل فيه الحديث معها ، فكل ما قلته إننى لم أعد أقبل سوء سلوكها ولا أكاذيبها

وقد قلت لها :

— وفى هذه اللحظة يا إيلين لا أستطيع أن أفكر فيما كنت أراه فيك دائماً . ومع ذلك ها نحن ذان لا نزال زوجين على الخير وعلى الشر جميعاً ، ولن أستسلم لمجرد أننى لم أحصل على ما كنت أتصور أننى سأحصل عليه ، ولن أستطيع أيضاً أن أحملك على التسليم فيما أخذت به نفسك لأن هذا أمر ستحرصين عليه ولا تتخلين عنه

فتنفست نفساً طويلاً سريعاً ولعل ذلك كان تنفس الارتياح فهذا مالا أستطيع أن أجزم به ، ولكنها لم تتكلم .

وسادت بيننا فى الأيام القليلة التالية عوامل الصفاء وإن كنا متباعدين أحدنا عن الآخر، وامتنعت عن قبول العمل الإضافى ، ولم تكن إيلين كعادتها تعمل عملاً ما من أى نوع من الأنواع ، وبدلاً من ذلك كانت أمها تأتى كل يوم فترتب أثاث المنزل وتعد الطعام ، ثم تسرع عائدة لتعد طعامها وطعام زوجها . وفى يوم من الأيام صممت على أن أنهى موقفى مع إيلين

ولا بد أن يكون قد مضى أكثر من أسبوع عند ما ذهبت إلى شارع جلينوور لأوصل سيارة

مسز تروتر التي كانت السبب في حصولي على العمل إلى جراج جونز . وكان عيد الميلاد قد اقترب ، وأوشكت أن أتم العام في عملي ، وكانت الأشجار في جميع البيوت مزينة بالمصابيح وغيرها من أسباب الزينة استعداداً لهذا العيد المجيد . وعلى الرغم من كل شيء حدث أنني بدأت أشعر بأن الحياة جميلة ، وبعد أن أسلمت السيارة لصاحبتها عدت أدراجي حتى إذا اقتربت من دار الدكتور فريزر فتح بابه وخرجت منه إيلين ، فلم أصدق عيني في أول الأمر لأنها لم تكن تشكو مرضاً ما ، ولكنها وقفت تحت أحد مصابيح الطريق لتخرج منديلها من حقيبة يدها وبدأت تجفف دموعها . وهنا تأكدت أنها إيلين ، وأيقنت أنها مريضة .

ولكنها لم تقل لي شيئاً عند ما عدت إلى البيت ساعة العشاء ، وكذلك لم تقل شيئاً في الليلة التالية ، ثم جاءت إحدى تلك الليالي القارسة البرد التي لا يمكن الإنسان أن يستعد لها مهما تكن الإنذارات السابقة . وأظن أن نصف سيارات البلدة على الأقل قد تجمد الماء في مبردات محركاتها في تلك الليلة ، وحجزت أنا وجميع رفاقي للمبادرة إلى إجابة الطلبات ، وكانت سيارة الدكتور فريزر إحدى هذه السيارات المحتاجة إلى الإصلاح وكان من نصيبي أن ألبي دعوته فلما رآني قال :

— مرحى ياجاك ! إن مسألة الأبوة التي تشغلكما تحملنا على الإسراع ، ألا ترى ذلك ؟

فكررت في بلاهة قول الطبيب :

— مسألة الأبوة !

فبدا على الدكتور مظهر الأسف وقال :

— أسعد الله مساءك . إني لأظنها كانت تدبر لك مفاجأة سارة في عيد الميلاد

ولم أسمع بقية الحديث

لم تخبرني إيلين بشيء عن مسألة الأبوة ، ولكن في ليلة عيد الميلاد أعطيت إيلين من الهدايا أكثر مما تسمح مالديتي بتقديمه وجلست إلى جانبها على الصفة وقلت لها :

— قال لي الدكتور فريزر إنك ستصبحين أماً يا إيلين فهل هذا صحيح ؟

فهزت رأسها . ثم على حين فجأة بكت كما كانت تبكي في الليلة التي خرجت فيها من بيت الطبيب ، وقد حاولت أن أواسيها ولكنها أبت أن تواسى . فلم تكن تريد أن يكون لها طفل ، لم تكن تريد أن تقيد بملازمة ابنها ، لم تكن تريد أن تفقد رشاقتها وشكلها المعتدل ولو لفترة قصيرة

مسكينة إيلين ! لقد ظننت أن من الفظاعة أن يكون الإنسان امرأة وأن تحارب على هذه الصورة للتخلص من المهمة الوحيدة التي خلقت لها ، ولكن خيل إلي في اليوم التالي أنها قد وقفت هذه الحرب . وبعد أن تعشينا أنا وهي في بيت أبويها ذهبنا إلى دار السينما . ولما عدنا إلى البيت كانت إيلين فرحة مبتهجة حتى لقد رقصنا معاً على موسيقى اللاسلكي ، وقد مضت علينا أجيال لم نعمل فيها عملاً مشتركاً إلا أن يكون الشجار والنزاع

وإني لأظن الآن أنها في تلك الليلة كان قد استقر رأيها على أن تجد وسيلة للتخلص من متاعبها . فلما رتبت كل شيء في رأسها شعرت براحة عظيمة هي السبب فيما بدا عليها من ابتهاج ، وكانت هذه

هى آخر راحة عرفتها إيلين فى الحياة ، لأننى عندما عدت إلى البيت فى الليلة التالية مباشرة وجدتها طريحة الفراش منهوكة القوى صفراء يخيم عليها شبح الموت . فأردت أن أدعو الطبيب فى الحال ولكن إيلين وأمها أبتا ذلك الإباء كله

وقالت مسز ليندن وهى تريد أن تتهكم بى فيما يتصل بالمال :

— أتدعو الطبيب لضربة برد خفيفة ؟ أنا لا أوافق على ذلك ! فما فيه من فائدة غير ضياع المال

أظن أن هذا القول يبدو سخيفاً ولكننى فى الحق لم يخطر لى قط على بال أن إيلين قد تكون ذهبت إلى إحدى هؤلاء النسوة اللواتى يحترفن مهنة الإجهاض « لتخليص النساء من متاعبهن » (وهذا أسلوب غريب لأمور هى فى الغالب سبب آلام شديدة للجسم وللروح) . وقد أخبرتنى مسز ليندن آخر الأمر بالحقيقة وذلك عندما تحرجت الحال ولم تعد تستطيع الكتمان ، وفى الحال حضر الطبيب ولكن التسمم كان قد سرى فى الجسم ولم يعد من الممكن وقفه فانقطع الرجاء

وعندما اقتربت النهاية أدركت إيلين أن خاتمها قد دنت فجاهدت الموت بكل ما فيها من قوة وكانت تصيح :

— لا تسلمانى للموت ! أمى ! جاك ! امسكانى ، لا تسلمانى للموت !

وكاد يقتلنى ما شهدت من هول الموت ومن « بلادته » وقضيت عدة أيام كالمغمى فى المنام أؤدى عملى على صورة آلية . وكان هارى جونز صاحب الجاراج هو الذى رأى أن خير علاج لى أن أخرج من هذا المحيط كله ، فاقترح على أن يخصص لى غرفة عنده للمبيت لأنى طلبات المساء

وكان هذا هو خير علاج حقاً ، فتركت أثاث البيت لمسز ليندن تتصرف فيه على ما تشاء

وشعرت بحنان إلى زيارة جماعة أولدن ولكنى خجلت من نفسى أول الأمر ثم حاربت هذا الخجل وقصدت إلى دارهم . وقد عادت بى الذكرى إلى قول « آن » : إننى سأحبك دائماً

ووصلت إلى دار أولدن ، وهناك وجدت مستر هندرسن فقدمته إلى « آن » ، وذكرتنى بأننى التقيت به من قبل .

وشعرت بالغيرة من وجود هذا الضيف الجديد على أن علاقة المودة عادت بينى وبين « آن » . وفى يوم من الأيام ذهبت لزيارتها فوجدت من وراء زجاج الباب خيالها هى ومستر هندرسن ورأيتهما يميلان أحدهما على الآخر فى قبلة طويلة ، فثارت نفسى وعدت أدراجى ، ولكننى لم أقو طويلاً على البعد وعدت إلى الزيارة ، وصارحت « آن » بآلامى وذكرت لها ما شهدت فضحكت ضحكة مرحة طويلة وسألتنى أن أهنئ أمها بما هى مقدمة عليه من زواج فإنها هى التى كانت وراء الباب مع مستر هندرسن خطيبها الجديد . . .

وهكذا انتهى الفصل الأول من القصة وبدأ الفصل الثانى بحياة بيتية هنيئة فى ظل زوج وفية فى حبها شديدة العناية ببيتها مكبة على إنشاء أطفالها أزهاراً يانعة تزين البيت ، ثم رجالاً أشداء يخدمون وطنهم وبلادهم على خير ما يخدم الرجال الأوطان .

عبد الحميد محمدى